

كيف تحب الناس ويحبك الناس؟¹

هناك قواعد هامة، عليك أن تتبناها لكي تكسب محبة الناس، ونحاول هنا أن نعرض لبعض منها.

1- ضع هدفًا واضحًا أمامك، أن تكسب محبة الناس، حتى لو أدى الأمر أن تضحي في سبيل ذلك...
هناك أشخاص يهتمهم ذواتهم فقط، ولا يهتمون بالآخرين. لا يباليون إن غضب فلان أو رضي. أما أنت فأحرص على شعور كل أحد، وحاول أن تكسب كل أحد، لأن الكتاب يقول: "رَابِحُ النَّفُوسِ حَكِيمٌ" (أم 11: 30). وإن عرفت أن واحدًا من الناس متضايق منك، فلا يهدأ قلبك حتى ترضيه. اجعل كل أحد يحبك، وكما قال الكتاب: "إِنْ كَانَ مُمَكِّنًا فَحَسَبَ طَاقَتِكُمْ سَالِمُوا جَمِيعَ النَّاسِ" (رو 12: 18). لذلك قدم للناس محبتك، واكتسب محبتهم، واعتبر أن محبة الناس كنز ثمين يجب أن تحرص عليه.

2- وفي سبيل محبة الناس، احترم كل أحد، حتى من هو أصغر منك وأقل شأنًا.
كثير من الناس يحترمون من هم أكبر منهم أو من هم أعظم مركزًا، ولكنهم يتجاهلون من هم أقل منهم، وبهذا يخسرون الكثير. أما أنت فتدرب على احترام الكل وتوقير الكل. لا تقل كلمة فيها الإقلال من شأن أحد، أو جرح لشعور إنسان. ولا تعامل أحدًا باستصغار أو باحتقار، ولا تتجاهل أحدًا مهما كان مجهولًا. درب نفسك على عبارات تقدير وتوقير بالنسبة إلى أولادك أو أخوتك الصغار أو مرؤوسيك أو خدمك...
واعلم أن أمثال هذه العبارات سوف لا تنسى، سيتذكرها أولئك الصغار طول العمر، وسترفع من روحهم المعنوية، وستجعلهم يحبونك. إن كثيرًا من الكبار ينسون احترامك لهم لأنه شيء عادي بالنسبة إليهم. أما الصغار فلا ينسون. احترامك لهم عمل باق لا يضيع. واعرف أن الله لا يحتقرنا على الرغم من الفارق اللانهائي بين عظمتنا وضآلتنا، والله مع ذلك يتنازل ويكلمنا، ويتضع مستمعًا إلينا ساعيًا لخلاص أنفسنا.

3- لذلك فإن تواضعك للناس هو عامل هام في كسب محبتهم لك.
لا تكلم أحدًا من فوق، ولا تتحامل على أحد، بل عامل الكل باتضاع، فإن الناس يحبون المتضعين. إن كان لك مركز كبير، إنس مركزك، وعش مع الناس كواحد منهم. لا تشعرهم بفارق...
في إحدى المرات سألني أحد الآباء نصيحة، فقلت له: (كن ابنًا وسط أخوتك، وكن أخًا وسط أبنائك)، ذلك لأن الاتضاع يستطيع أن يفتح حتى القلوب المغلقة... والناس قد يخافون من هو عال وكبير بينهم، ولكنهم يحبون من ينسى مركزه في محبتهم. اكتسب إذا محبة الناس لك لا خوفهم منك. ولا يكن هدفك أن يهابك الناس وإنما أن يحبوك. لا تطلب أن تكون فوق رؤوسهم، وإنما اطلب أن تكون داخل قلوبهم.

ولا تظن أن تواضعك للناس، يقلل من شأنك بل على العكس إنه يرفعك أكثر... تذكر قول الشيخ الروحاني: (في كل وضع حللت فيه، كن صغير أخوتك وخديمهم). وقد قال السيد المسيح: "مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَنْضَعُ وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْفَعُ" (مت 23: 11).. وما أجمل تلك النصيحة التي وجهها الشيوخ الحكماء لرجعهم الملك ابن

¹ مقال: قداسة البابا شنودة الثالث "كيف تحب الناس ويحبك الناس؟"، الكرازة: 16 أغسطس 1985م.

سليمان الحكيم حينما قالوا له: "إِنْ صِرْتَ الْيَوْمَ عَبْدًا لِهَذَا الشَّعْبِ وَخَدَمْتَهُمْ وَأَجَبْتَهُمْ... يَكُونُونَ لَكَ عَبِيدًا كُلَّ الْأَيَّامِ" (1مل12: 7).

4- إن أردت أن يحبك الناس، اخدمهم، وساعدهم، وابذل نفسك عنهم...

اشعرهم بمحبتك بما تقدمه لهم من معونة ومن عطاء ومن بذل. إن الذين يحبون ذواتهم، يريدون باستمرار أن يأخذوا وأن ينالوا وأن يكسبوا. أما أنت فلا تكن كذلك. درب نفسك على البذل والعطاء. لتكن علاقتك بالناس تهدف إلى مصلحتهم هم لا إلى مصلحتك أنت. انظر كيف تريحهم، وكيف تجلب السرور إلى قلوبهم، وتدخل الفرح إلى حياتهم... بهذا يحبونك...

إن أكثر إنسان مكروه هو الشخص الأناني، وأكثر إنسان محبوب هو الشخص الخدم، الباذل المعطي. لا تظن أن الطفل هو فقط الذي تعطيه فيحبك، بل حتى الكبير أيضًا... الله نفسه علاقته مع الناس علاقة عطاء وبذل، وكذلك الرسل... الأم محبوبة جدًا لأنها باستمرار تعطي وتبذل... وإن لم يكن لك شيء تعطيه للناس، اعطهم ابتسامة لطيفة وكلمة طيبة. أعطهم حبًا، أعطهم حنانًا، أعطهم كلمة تشجيع... أعطهم قلبك... أظهر لهم أنك تريد، وأنت مستعد، لكل تضحية من أجلهم...

5- وإن أردت أن يحبك الناس، قابلهم ببشاشة ولطف...

إن الشخص البشوش شخص محبوب... الناس أيضًا يحبون الإنسان المرح والإنسان اللطيف، والإنسان الذي ينسيهم آلامهم ومتاعبهم بكلامه العذب وشخصيته المريحة... لذلك حاول باستمرار أن تكون بشوشًا... حتى في عمق متاعبك وضيقاتك إنس متاعبك لأجل الناس... لا تكلم أحدًا وأنت مقطب الوجه صارم الملامح، إلا في الضرورة الحتمية لأجل الصالح. أما في غير ذلك فكن لطيفًا...

كلم الناس بكل أدب وذوق، لا تعبس وجهك...

6- إن أردت أن تكسب محبة الناس، لا تكن كثير الانتهاز، أو كثير التوبيخ...

إن الكلمة القاسية كلمة موجعة تتعب الناس. والكلمة الجارحة قد تضعي المحبة وتبدها، فلا تكن كثير الانتهاز... إن أردت أن توجه لومًا أو نصيحة، فليكن ذلك بهدوء ووداعة وفي غير غلظة. ولا تشعر الناس بكثرة توبيخك أنك تكرهمهم. وإن أردت أن تقول كلمة توبيخ، فلتسبقها عبارة تقدير أو عبارة مدح أو مقدمة لطيفة تمهد الجو لقبول التوبيخ. أو على الأقل تخير الألفاظ في توبيخك فلا يكن جارحًا مهينًا، ولا يكن أمام الناس حتى لا يشعر من توبخه بالذل والخزي... كذلك لا توبخ على كل صغيرة وكبيرة وإنما على الأمور الهامة فقط، إذ لا يوجد إنسان يخلو من الزلل. ويمكنك أن توجه الناس دون أن تجرحهم. ولا توبخ كل أحد، لأن سليمان الحكيم يقول: "لَا تُؤَبِّخْ مُسْتَهْزِئًا لِئَلَّا يُبْغِضَكَ. وَبَخْ حَكِيمًا فَيُحِبَّكَ" (أم9: 8).

وإذا انتقدت فلا تكن قاسيًا في نقدك، إنما تكلم عن النقط الحسنة قبل أن تذكر السيئة. إذا انتقدت أحدًا لا تحطمه بل كل رقيقًا به. وليكن هدف النقد هو البناء وليس الهدم...

7- وإن أردت أن يحبك الناس، دافع عنهم، وامدحهم...

حساس جدًا هو القلب المسكين الذي يجد الكل ضده، ووسط هؤلاء يعثر على إنسان يدافع عنه. إنه يهبه كل قلبه... لذلك دافع عن الناس، وبخاصة من تجده في مأزق، أو من تجد الضغط شديدًا عليه، أو من تراه مظلومًا أو في حاجة إلى من يدافع عنه...

وفي تعاملك مع الناس تذكر حسناتهم وانس سيئاتهم. وتأكد أن كل إنسان مهما كانت حياته مظلمة، لا بد ستجد فيه بعض نقط بيضاء تستوجب المديح... ابحث عن هذه النقط البيضاء وامتدحها وأبرزها وأظهر له أنك تعرفها وتقديرها. عندئذ سيحبك ويكون مستعدًا لقبول توجيهك أو توبيخك بعد أن أظهرت له حبك...

لتكن ألفاظك بيضاء، حاول أن تكثر من ألفاظ المديح لمن يستحقها... لا تكن شتامًا، ولا هدامًا، ولا مستهزئًا، ولا متهمًا على الآخرين... اضحك مع الناس، ولكن لا تضحك على الناس. أشعر كل أحد بتقديرك له، وأعلن هذا التقدير أمام الكل... استعد من الخير الذي في الناس قبل أن تنتقد الشر الذي فيهم. اعتبر أن الشر الذي في الناس دخیل عليهم، وواجبك أن تتقذهم منه لا أن تحطمهم بسببه.

8- وإن أردت أن يحبك الناس فلتكن إنسانًا فاضلاً فيه الصفات المحببة إلى الناس.

لا تظن أن الناس يحبون عبثًا أو بلا مقابل، بل يحبون الشخص الذي تتركز فيه الصفات التي يحبونها... يحبون الإنسان القديس، والإنسان الشجاع والإنسان الناجح والإنسان الذكي... فلتكن فيك صفات جميلة... عندئذ سيحبك الناس بسببها... لذلك إن أردت أن يحبك الناس قوّم نفسك أولاً... أصلح العيوب التي فيك التي يكرهها الناس، عندئذ سيحبك الناس... إن واجهك أحد بعيب فلا تغضب، بل اختبر نفسك جيدًا فربما يوجد هذا العيب فيك. حينئذ أشكر من وجهك إليه ولا تحزن منه...

9- وإن أردت أن يحبك الناس، احتمل الناس.

لا تنتقم لنفسك، ولا تقابل السيئة بمثلتها، ولا تغضب على من يسيء إليك... كل إنسان له ضعفاته فأحتمل ضعفاته الناس. لا تتضايق بسرعة، ولا تخسر الناس بسبب أخطائهم، بل اغفر لكل من يخطئ إليك... وعندما يرجع إلى نفسه ويذكر احتمالك له ستزداد محبته لك... وحتى الذين لا يرجعون لا تخسرهم أيضًا بل اذكر قول القديس يوحنا ذهبي الفم حينما قال: (من لا توافقك صداقته، فلا تتخذ لك عدوًا).

10- وإن أردت أن يحبك الناس كن مخلصًا لهم، وكن حكيماً في إخلاصك.

عامل الناس بكل إخلاص، واحذر من أن تكون محبتك لهم ضارة بهم. بل لتكن محبتك في حكمة استخدم المديح ولكن لا تستخدم التملق ولا الرياء. واستخدم الحنو، ولكن أبعد عن التدليل الضار... كن مخلصًا في حبك للناس. هدفك صالحهم وليس مجرد أن يحبوك.

والله المحب قادر أن يسكب المحبة في قلوبنا جميعًا لنحب بعضنا بعضًا كما أحبنا هو في قلبه الواسع الكبير.